

النظرة السارتية وأبعادها النفسية والاجتماعية

Sartre gaze and it's psychological and social dimensions

جامعة عبد الحميد مهري - قسنطينة 2	فلسفة	عائشة فاضل * Aicha Fadel aicha.fadel@univ-constantine2.dz
جامعة عبد الحميد مهري - قسنطينة 2	فلسفة	د.بوقرن عبد الله Dr. Bougorn Abdullah
DOI: 10.46315/ 1714-011-002-014		

الإرسال: 06/01/2021 القبول: 16/04/2021 النشر: 31/03/2022

ملخص: "النظرة" ظاهرة وجودية ذات أبعاد متصلة بالآخر، بحيث تمثل واجهة التواصل ومركزية التعبير من حيث ارتباطها بالجسد مما تكشف الرؤى المعاصرة لقابلية التفتن لصلاحية التواصل الجسماني عن طريق النظرة، لهذا ستتصل هذه الفاعلية بالتصورات النفسية والاجتماعية من حيث العلاقة بين الأنا والآخر وأثرها الواقعي من المنظور السارترية. لم نكتف بعرض أبعاد النظرة في ثلاثية متصلة ووضعها موضع الريية بل سنضيف البعد الرابع الذي يحتضن الإنسان ألا وهو تجاوب الصحة والتوازن ضمن بوتقة البحث. على هذا الأساس يتجه التصور في كشف القناع عن الوجه المشوه للكائن الذي يصارع وجوده في العالم متخطبا بين شعوره ووعيه. كلمات مفتاحية: النظرة؛ الشعور؛ الصحة؛ الوعي.

Abstract:

"Gaze" is an existential phenomenon with dimension related to the other, as it represents the interface of communication and centrality of expression in terms of its connection to the body.

We just weren't content with presenting the dimensions of the gaze in a connected trilogy and putting it suspiciously, but rather we will add the fourth dimension that embraces the human being, which is the response of health and balance within the crucible of research. On this basis, the perception tends to reveal the deformed face of the being who is struggling with his presence in the world, confused between his feeling and his consciousness.

Keywords: gaze; feel; health; awareness.

مقدمة:

لعلّ الحرص الشديد الذي تبديه الدراسات النفسية غالبا ما يتصل على شكل محاثة مع التصورات الفلسفية التي تبعث سؤال الصحة والتوازن النفسي للفرد، على هذا النحو تتقدم الفلسفة الوجودية بزعامة جون بول سارتر لكشف فاعلية النظرات وتأثيرها مع المتلقي فمرجعة الأعمال الروائية لسارتر كثيرا ما تضمنت هذا الاستشكال، فقابلية الانكشاف على العالم تبرز تأزم الوجود الفردي وهشاشة العلاقة بين الذات وأنا-ها وكذا الذات والآخر. بل كثيرا ما تقود لحالة الاضطراب النفسي كصدمة وحالات الاغتراب التي تنتهي إلى طرح مفارقات متصلة بدور الوعي والمسؤولية تجاه الآخر (سواءً أكان الآخر المعالج أو شخص ما).

كما نفترض في هذه الدراسة البعد التجاوبي للعلاج النفسي الذي مارسه سارتر على نفسه من خلال أسلوبه الأدبي في كشف تجليات الحضور وإبراز بعده الفلسفي المتميز، إذ نقترح نسق الدراسة كالآتي أن نخرج إلى تقسيم هذه الدراسة إلى نمطين الأول يختص بالقراءة الساترية والآخر يتعداها نحو الأبعاد التطبيقية التي تطال التجارب النفسية والاجتماعية، كنوع من التأليف بين التحليل الشائع حول أن الوجودية دراسة عدمية وبين ما نفترض أنه يحقق تفكيرا تطبيقيا منتجا يمكن إسقاطه على مبدأ البدهة، لماذا لم تصبح الكينونة بداهة، وقيمة برينة تنصل من الشرور؟ وهل الخطر والرقابة تكفي لحل هذه المأزق؟.

من هنا يحق لنا طرح التساؤل الآتي: إلى أي حد يمكن للتجربة الوجودية عن طريق التواصل بالنظرات أن تقود لتعزيز الوعي الذاتي وإصلاح التوجه النفسي نحو مشكلة السوي واللا-سوي في منظومة الصحة؟ وإلى أي حد يمكن للنظرة أن تقدم سبلا لتعزيز النفسي دونما إحداث ارتباك تقهقري في معيار التجاوب بين الذوات والمجتمع؟.

أهداف الدراسة: تهدف هذه الورقة البحثية إلى تعزيز جسر التواصل بين العلوم من حيث ما يلي:
*إبراز الواجهة الفكرية للفلسفة الساترية من حيث تدعيم أبعاد التواصل الذاتي للفرد عن طريق تقنية القصد كانعكاس لفلسفة الوجودية وعلاقتها بالعالم لغرض الإصلاح النفسي وتبني رؤى لفن التعزيز النفسي.

*إن الدراسة التوجيهية لمحور الجسد في الفلسفة يخلق توجهات عملية في تقنيات التطبيق الذاتي والجماعي عن طريق التربية والتوجيه وانعكاسها على الحضارة.

*معالجة طبيعة الإنسانية وإمكانية صقله في الجوانب تمس الحس المشترك للفرد بين الحرية والمسؤولية وصولا لتحديد المعيار الضابط للقيم الأخلاقية.

وهذا ما يضفي على البحث قيمة وأهمية تتمثل في الدور التكاملي بين الفلسفة ومفهوم الصحة، فالموضوع الذي نتناوله يبعث الحياة داخل مجموعة الأنشطة التي يمكن للإنسان أن يحدث عليها رقابة مما يوفر مبدأً للوعي العام دون التناقض الذي تحدثه القطيعة العلمية والتجزئة معرفية.

2- خصائص الفلسفة السارتية:

ما تميزت به فلسفة سارتر، هو تحديدها لنقطة التحول السلبية في المرجعيات الغربية (التصورات المثالية في العهد الحديث أساساً). إثر هذا التحول نقل الإنسان من طبيعته التأملية وتقبله لمعايير التغيير نحو الاصطدام بطبيعة ثانية أفرزت البعد التشائي للإنسان المعاصر لتحديد المصير الواحد رغم تعدد الرؤى والطموح. إن الهول الذي يجره العدم، يبدو سلبياً ظاهراً في حين أن هذه الفلسفة تنقل التأمل نحو كفة عكسية تصارع فيها "فكرة أن التاريخ يعيد نفسه". ستنظر هذه الفلسفة إلى ما تخلفه التصورات المثالية من قناعات مطلقة تفصل الفكر عن الوقائع بشكل جازم، بل تقود الفرد إلى تحزري وجوده في العالم بما تحمله الذات من مرجعيات نفسية متصلة بالحدس الباطن وتسقطه على العالم الخارجي.

داخل جحر الفكر المظلم الذي يخلو من الحلول التطبيقية ولدت الفلسفة السارتية، والتي بدت تياراً أيديولوجياً حركه حماس التغيي بالإنسانية والكونية الموحدة، في حين أنه كان ملاذاً نفسياً يقود براديجماً لتغيير الوقائع الاجتماعية آن ذاك وتجربة شخصية تناسبت مع الشخص السارترى من خلال الطابع الأدبي المفكرة فهو يعلن أن الفلسفة ملاذ لتحرير نفسي من جحيم العالم.

سيبرز وميض إيمانويل لوفيناس إثر هذه الرؤية المتفجرة وتلتحم فيه تجليات لمذهب هوسرل، لذلك تهيأ له الظروف الحاسمة للحدوث عن الإنسان بحضوره المادي، أي الكينونة المحددة بالعقل، بالعودة إلى مصادر سارتر نجد الأزمات الانفعالية الشخصية بارزة ضمن الإسقاطات الروائية، وتبدو هذه الفواصل المعيشة تجميعاً ينتهي لفلسفة تتلاءم مع قراءة مفعمة بالنقد، وخاصة العصر الذي ساير حياته، مما قاده للنظر بعمق في شكلين من الكينونة: الوجود في ذاته (العالم)، والوجود لذاته (الشخص).

حسب سارتر فإنه يمكن اختزال كل المواضيع المرتبطة بالوعي، لذلك ستركز نمو الذات على حركة وقوة "الحدس" المباشر للعالم. مما يسمح بتصوير سارتر لمعالم البنية التطبيقية للحدس ويختزلها ضمن التأويل الذي تسحبه الواجهة التي تتكوّن عن طريق نافذة النظر. فالمعيش في فكر سارتر يتخذ رد أشكال الأحداث (المعاشات) إلى تجارب تكوينية لأبعاد النفس أي أنه يضيف

رؤية ميرلوبنتي في تحديد الظواهرية المتصلة بالإدراك الحسي ويدعمها (سارتر ج.، 2005، صفحة 69).

التكوين لن يكون جافا كما حددته الميثلالات العقلية، والعالم لن يكون خصيما للذات بل يضع انزلاقات المعنى في الواجهة مع الوقائع، لذلك يعدّ التفكير أساسا في بناء مشروع قابل للتجدد، وهذا ما يقود المسؤولية للنضج مبرزا قيمة الحرية في قدرة الذات على التنقل من مشروع لآخر. لقد طبع الفكر السارتري تميّز خاص لكن مسار فلسفته حول العلاقات سواء بالذات أو بالأخر لن يكتمل إلا عن طريق النظرة أي الوجود المرئي.

وهذا ما يقودنا لتحليل النظرة في العنصر اللاحق الذي يفضي إلى الإجابة عن استشكل مهم يتلخص في الآتي: متى تدرك الذات قيمتها؟ لن نسهب في تحديد المعطى المحيط بفترة حياة سارتر بقدر ما سننظر في قيمة فلسفته التي تتخطى الضبابية الفكرية نحو الطواعية التطبيقية لحيز النظرة.

3. الكينونة المرئية عند سارتر: ما النظرة، ما هو تفسيرها وماهي الأشكال التي تبرزها؟

قد يبدو للوهلة الأولى أن سارتر غارق في الفلسفة الظواهرية، فكتاب "الوجود والعدم" يحلل الرؤى الهوسرلية بما يطبعها على حدى في مقابل الظواهرية التي تدعمت من خلال فلسفة هايدغر، غير أن المتمعن يدرك قيمة هذا الإنتاج ضمن فاعلية النقد، التي تبرز الشخص والشخصية بشكل يحدد القيمة الفعلية والتطبيقية للوجود الإنساني، لذلك تنفجر هذه الفلسفة بمعطى مفارق للمعهود عن طريق إبراز قيمة النظرة ككينونة مرئية قابلة لخلق معالم الوعي (سواء مستقل أو تابع).

لأجل هذا تبرز تحليلات سارتر ضمن فاعلية النظرة التي لا تتحقق فقد عن طريق العضو - العين- بل تبرز قيمتين هما: الاعتراف والصراع بالند، أفعال الوعي تتجدد حسب الخبرات وهي التي تحقق قابلية النقد أو صورة الشخص نفسيا واجتماعيا؛ أي أن الوجود لا يثبت على حاله فقد ينتقل من الوجود لذاته كحالة مستقلة ويندوب-بالتعبير الفني الذي يطبع لوحات لسلفادور دالي- إلى الوجود في ذاته أي يتحوّل إلى موضوع. يضرب سارتر مثال: التجسس أو التطفل (سارتر ج.، 1996، صفحة 462)، لتعزيز هذه الرؤية، يرى سارتر أن الفضول الذي يقذف الذات نحو الآخر ما هو إلا اختبار لتعزيز الذاتي لمواجهة شكلين من الوجود:

-تفادي الخطر لأن الآخر جسيم؛ ونقصد به الصراع.

-تحديد قيمة الذات بالندية، أي قياس قيمة الذات على معيار مقابل؛ ونقصد به الاعتراف.

فسارتر ينقل لنا قيمة الأنطولوجيا المصوّرة التي تؤثر على الذات وتنقلها إلى موضوع يقيد حرية الوعي وينقله لرتابة التشيؤ؛ فهذه الانطباعات الظاهرية تخلق نوعا من اللامسؤولية الذاتية بحيث توجه

الذات نفسها لخدمة مشروع المجتمع على حساب الشخص والفردانية وهذا التصور يبرز موقفا صريحا لسارتر في رفض ذوبان الذات في الهدف الجماعي، فالحروب مثلا هي أهداف خارجية، وهي تخلق نوعا من الطموح العملي الخارجي الذي ينسي الذات حريتها، لقد تحققت الرؤية سابقا في طموح أفلاطون لكن لم تتخذ الشكل الحاد في تعيين الإطار العملي.

على هذا النحو يرتب الوجود بالأخر قسراً، ويتحول الفرد إلى إمكانيات تتحقق بحسب قدرته على التجاوب مع العوالم الداخلية التي تتشكل معالمها انطلاقاً من الإختبار الموجه ضمن العلاقات، فتتحقق النظرة في شكلين هما:

أ- المرجعية النفسية: الكينونة المرئية هي اختبار واعي لإرادة القوة في المواجهة، خارج الذات وخارج الزمن النفسي (الماضي، الحاضر، المستقبل)، وهي قدرة على نفي النزجسية الذاتية كتحدٍ يبرئ التحديدات اللحظية للكينونة؛ وعدم تفعيل آلية العقل في التقابل هو دخول في التضاد مع التأمل لتعيش الذات قيمة النفي أي اللاتأمل، يقول سارتر: "الإدراك اللاتأملي لوعي بواسطة وعي آخر، ليس في الإمكان ممارستها من غير التذكر" (سارتر ج.، 2005، صفحة 62)

ب- المرجعية الاجتماعية: وهي لغة الانسياق التي تخلع الذات من مكانته عن طريق فعل التناقض، لذلك يرى بوجود وضع وساطة للجدل بين الحرية الفردية والمتطلبات الجماعية، وهذه الوساطة هي الفهم الذي تحقق عن طريق التسليم بأن الجدل في حد ذاته مشروع ينبغي تعريته والكشف عنه. "وهذا ما جعل سارتر يقول: طالما أن الإنسان لم يدرس أبنية المستقبل في مجتمع محدد، فإن الإنسان يتعرض بالضرورة إلى لخطر عدم فهم أي شيء مهما يكن مما هو اجتماعي." (مجاهد، دون سنة، صفحة 14)

يمكن الإشارة، من الناحية المنهجية، فيما سبق بأننا صرحنا بجعل هذا المقال مقسماً بين البعد السارترى المحض، الذي يساير عصره، والبعد اللاحق الذي يتقاطع مع مجال الفلسفة التطبيقية في الحياة اليومية.

لذلك يمكن أن نلاحظ بدءاً، أن نظرية سارتر للنظرة تتقاطع في أكثر من نقطة مع نظريات العلاج، والتي قدمناها سابقاً على أن سارتر نفسه اعتمدها لتعيين نوع من التطبيق التدوقي التواصلي المحقق مع ذاته من خلال الكتابات الفلسفية، لذلك نقوض هذه الرؤية في تعيين أبعادها التي تبرز الصراع الذي يحياه الإنسان كقيمة حقيقية (نفسياً أو اجتماعياً)، بل يتعداه لصيرورة تتخذ مراكز للقيم الأخلاقية والإنسانية (سارتر ج.، الوجودية مذهب إنساني، 1964، صفحة 67)، لذلك نتساءل: متى تستجيب الذات للنظرة كتذوق ومتى تتحول إلى بعد قيمي يحكم الأفعال؟ هذا هو السؤال الذي يأخذ بنا لتحديد قيمة النظرة وأبعادها خارج الكتابة وخارج عصر سارتر في النسق الفلسفي الذي يمتد ويحفظ مكانتها بمعزل عن صاحبها.

4-أبعاد النظرة في تجليات الفلسفة السارترية نحو التجارب النفسية العلاجية:

لقد أبدت المحاولات الفلسفة عبر العصور فاعليات تقديرية لقيمة الفرد النفسية؛ سواء ما اندرج تحت القيد الديني أو ما أنتجته التصورات النظرية حسب فروع الفلسفة التقسيمية للدراسة (أنطولوجيا، إبستمولوجيا، أكسيولوجيا). على هذا النحو نجد اليوم في الفكر الغربي عودة للمرجعيات التقليدية الكبرى، خاصة في مجال معالجة وتحسين الصحة بمفهومها العام.

1.4- التحليل النفسي الوجودي (سارتر ج.، 1996، صفحة 879):

يعتبر الفرد اليوم أكثر عرضة لتجاوزات العقلية نتيجة التطور الذي ألحقته حياة اليومية من سهولة التدفق المعرفي وقابلية الاندماج مع الأبعاد المتعددة للعالم نتيجة تطبيق مبدأ الخصوصية وتجزئة المتصلة بالعلوم وأبعادها مع الجسد. لقد أصبح العلم اليوم يفاجئنا بالفصل الجازم بين الجانب المادي والجانب المعنوي، وهذا خطر في حد ذاته أن يتم التركيز على المناهج وفاعليات التشريح دون الالتفات لحدود المباح والمحظور، "فمنذ عام 1908م، عرف العلماء الأعراض الجسمانية للمرض يظهر في المرضى كما في أقرابهم. فعندما يحاول المريض مراقبة "رقاص الساعة" يتأرجح ببطء، لا تستطيع عيناه ملاحقة تلك الحركة الانسيابية. وفي الوضع الطبيعي، تتمتع العين بالكثير من الحدق. ويستطيع الإنسان اعتياديا إبقاء عينيه مركبتين على الهدف المتحرك، حتى من دون بذل جهد ذهني، إذ تبقى الأشياء المتحركة مرسومة على شبكة العين. وبكلام آخر، تتابع العين الأشياء المتحركة في انسيابية تامة." (غليك، نظرية الفوضى، 2008، صفحة 311، 312)

على هذا النحو يرى سارتر أن الحقيقة العلمية ما هي إلا صراع مخفي لعزل الثنائية، وتوجيهها نحو المادة، كفاعلية يمكن مواجهتها والتعامل معها؛ إذ أنها تخلق قصديّة قياديّة يمكن للأنا أن تمارس عليها السلطة والتحكم فتصبح امتداد وهذا ما يحقق مسألة التعايش مع الحقيقة العلمية دونما سحها نحو الشعور على اعتباره انطبعا فرديا مرهونا بقيمتي الوجود والعدم، "وفضلا عن ذلك، فإن التحطيم وإن أصاب الوجود بسبب الإنسان، فإنه واقعة موضوعية، وليس فكرة." (سارتر، الوجود والعدم، 1996، صفحة 58) ويضرب في ذلك مثال المقهى بحيث يقدمها كمشهد مسرحي يمكن توضيحه في الحقيقة الوجودية للإنسان كالآتي:

*المشهد: يجده داخل المقهى.

*المسرح: يستعمل الأدوات المتمثل في الأثاث.

*النظام التقني: الشخصيات الثانوية وتحريك الشخصية.

*تفعيل المنولوج البصري.

ففي هذا المشهد المصوّر في شكل خطاب تبرز رؤية واضحة لفلسفة سارتر حول أن التواصل بالجسد: تحديدا البصر، هو دمج لقيمتي الإرادة والحرية ضمن إطار الشعور القصدي اتجاه العالم وفاعلية الحكم على الأشياء والأشخاص على السواء على اعتبارها موضوعات خارجية تخضع للأننا. إن الفصل المعطى بين توجهات العقل والجسد تخلق مفترق صحي بين الشكلين، من حيث أن المعالج سينظر للمريض من كوة الانطباع (أي التعبيرات الظاهرة) وهذا ما يحقق قيمة أبعاد للجسد من النفس، لكن إذا تعلق الأمر بالمريض فلا يوجد انفصال بين المحورين على اعتبارهما قوة تتجاذب تخلق كينونة الشخص. وحسب سارتر فإن المشكلة لا تتعلق بمسألة الاتصال والانفصال بقدر ما هي إحالة لقوة ثالثة تتمثل في: "التأثير عن بعد" لكن الولاء يبقى للجسد. " (سارتر، الوجود والعدم، 1996، صفحة 499)

2.4- استراتيجيات التواصل والإدانة (الانفصال) من خلال النظرة:

يكشف العلم اليوم عن مركزية جديدة تعرف بالاختزال، من حيث يتم تجميع الأحداث التي تؤثر عن قرب أو بعد، وهذه الفاعلية تزامنت مع مشكلة الحقيقة العلمية. فتقدم العلم، من ناحية أخرى، أدى إلى رفض فكرة الموضوعية المطلقة هذه.

إذا عدنا إلى مسألة التواصل بين الأبعاد التي تدخل في المنظومة السيكلولوجية فإننا سنجد أن تقنيات العلاج النفسي مازالت رهينة الإسقاطات العلمية من حيث صعوبة عزل النظام العام للعلاقة الخام بين المريض والمعالج (فاعلية السلطة في توجيه المريض نحو المشكلة)، وإمكانية اتصالها بإضافات متواطئة. يقر في هذا سارتر أنه ليس فقط العلم من يعاني من النسبية، فالعلاقات بما في ذلك على أشكالها تكشف نسبية العالم والإنسان والمجتمع، وهذه الفاعلية في التواصل الجزئي وإمكانية الانفصال تتحقق في شكل ادعاءات بين الشرط والحكم.

إن ما يحقق مبدأ الانفصال في التجاوب والاتصال هي معلوماتنا التجريبية، التي تمكننا من الدخول تحت الآخر، وهذا الاختزال يدرك من خلال التعلّم الذي تتيحه اللغة (الجسدية) للتواصل. لقد حققت الحروب العالمية الأولى؛ والثانية ما يكفي لإخراج الإنسان بكامل وعيه من القصور الوجودي نحو مسؤوليته عن وجوده داخل العالم وعلاقته بالآخر. وهذا ما أدى بالضرورة إلى ظهور النزعة الإنسانية محاولة في ذلك تحريره من تقييدات الذاتية وكذا أزمات الاضطهاد العرقية والفكرية التي تؤدي إلى أشكال متعدية من الصراع الفردي والاجتماعي على حد سواء وصولا إلى الأزمات النفسية.

على هذا النحو واجهت التجليات السارترية العالم خارج التوجهات الكلاسيكية معلنة حرية الإنسان ومسؤوليته المشروعة نحو ما يتبناه، وستتجلى علاقة الأنا بالآخر في العالم على أشكال متعددة خاصة ما ارتبط بها مع فاعلية التجاذب لذلك تتعدى صيرورة التجاوب مع النظرة والصراع النفسي والاجتماعي، وهذا مجال بحثنا.

أ- النظرة والصراع النفسي، بداية التشيؤ:

إن إنسان العصر يعيش تباعدا عميقا مع ذاته والآخر، ولذلك ينبغي على الفرد الانفتاح بشكل متوازن لقبول الوجود وكل ما يجري فيه متجاوزين في ذلك القاعدة الديكارتية "الكوجيتو" والتي تختزل العالم داخل الأنا بشكل مرضي ومؤذي. تعد هوية الشخص إثباتا لحقيقة الأنا ومنها تتحدد علاقتي مع الآخر، لكن الآخر يحدنا في نظرات تجعل الأنا تنقسم إلى قسمين من منظور الآخر:

1. الأنا المرضية الموجهة نحو الداخل.

2. الأنا المرضية الموجهة نحو الخارج.

إن الحدود المتقابلة بين الأنا والغير هي ضرورة اجتماعية ووجودية، وكثيرا ما ينحصر التقابل بين الذات وذاتها، وقد يوجّه كثيرا في حالات الاعترا ب خاصة مع مجالات الحياة وتوجهاتها، "فعجز الإنسان عن الممارسة الذاتية الفعالة في عملية فهم العالم" (فروم، 1998، صفحة 63)؛ هو الذي يصنع الألم والصراع الهدّام في أغلب الوقت.

الإنسان كائن متميّز قادر على بناء أشكال متعددة للأنساق التي تكشف عن أشكال متعددة من الحقائق، لكن الحقائق لا يمكن فصلها عن القناع الثقافي وتجليات العصر، وتبقى أدوات التعبير، لذلك تتشكل صور مقننة للكشف عن البواطن بما تحمله من أحكام وتصورات.

إن الهندسة الذاتية التي تتشكل من فراغ فهي ازدواجية تواصل بين التنشئة الاجتماعية وتجليات الوجه الكاشف عن العلل وأحيانا قليلة عن الصحة النفسية التي بدأت تتذبذب حتى في وجه الطفل، على هذا النحو نؤسس لمشروعية تفصيل أبعاد النظرة على ضوء ما ذكرناه.

أ-التنشئة الواعية:

يطرح سؤال التواصل ضمن أطر البحث الفلسفي، لغرض دمج الذوات تحت قيد المنافسة خارج دائرة الصراع، وهذا ما جاءت به الفلسفة الوجودية؛ فغرضها هو تطيب الجرح العميق للإنسانية وما تجرعه من الحربين العالمية الأولى والثانية.

إن نزع الكيان المتآكل للمجتمع البشري يقود بالضرورة إلى تفعيل عجلة النقد التي تسوق التاريخ نحو الصيرورة لغرض النمو والتجاوز، إذ تتشكل إثر هذا أشكالا متعددة للعلاج الذاتي، وممارسة التواصل ليس فقط عن طريق التعلم، بل في كثير من الأحيان عن طريق ممارسة الحياة الإنسانية ومقابلة الآخر خارج الأحكام، لذلك تتمركز النظرة بين التعبير عن أشكال الوجود التي تبرز جمال الإنسان أو قبحه. لهذا تحمل التنشئة الذاتية معالم علاجية عن طريق:

*التأكيد على قيمة الذات عن طريق النظر في الانعكاس داخل المرآة.

*تننقد الإرث الغيري في التقبل الأنا لأنها .

*توازن بين الاهتمام بالنظرة الاجتماعية وطبيعة التوازن بين المحظور وفاعليات التحرر.

*تحديد الأهمية للتجاوب مع الآخر وكشف جوهر المساواة وأشكال التوزع الصحي بدافع التسامح والتراحم.

*منع الانفعال المصطنع سواء كان اجتماعي أو فردي.

على هذا النحو يبلغ التجاذب مراحل الوعي مقصيا في ذلك الجذور المؤذية التي تنمو كإرث مقيد للانحدار نحو الخضوع للغيرية بهدف الاستعباد؛ وهذا النوع الجديد يقود لإحداث شرخ عميق في الكينونة والتقهر ضمن أبعاد العنف واجتياح الضعفاء. لذلك فإن المدخل المهيج لدخول الجماعة متصل بالتنشئة والتجاوب، وهذه المسلمة تبدو مناقضة للفكر السارتري لكنها ضرورة عميقة تنمو تحت التضاد الفكري في شكل مسلمة جزئية، "إنها مرحلة يتم فيها ترجمة الشعور نحو الآخر، تتطور عبر الوقت لتغذي النظام القانوني للجماعة".

ب-الكينونة العارية:

نحن ننظر للكائن المشوه اليوم من خارج الكوة، فبفضل التوسيع دائرة الصحة نحو التنشئة الاجتماعية والتنويه بقيمة الشخص، أصبح بالإمكان الكشف عن الوجه العاري للإنسان وتحليله، ونحن ندرك أن التحليل يبقى معلقا بين اعتباره حكما أو تفكيكه كغاية.

نحن ننظر لأعمال سارتر على أنها خطابات ضيقة في فينومينولوجيا الوعي، إذ أنها تحقق الانتباه الموجه نحو الموضوع وهذه القصدية تفتح مجالا أوسع عن أشكال النظرة للعالم؛ التي قد تكون في أشكال متعددة:

*قد تكون تحليل للمعيار القبيح.

*قد تكون تنافس قصدي يمكن أن يتحول إلى صراع.

*يمكن أن تشكل اندفاعا لغرض الحماية.

وإن بدا الشكلا متصلان بالخبرة الذاتية فإن الشكل الثالث يعبر عن مجال المخاوف، سنضيف لأشكال الوجود الضبابي الذي يحمل الشك الدائم من المواضيع الملقاة في مجال البصري للإنسان؛ إذ تحجز الأنا ذاتها في مسار ضبابي وهذا ما يضع يغطي الوعي الفردي بوشاح أو حجاب التصلب باسم الهوية الفردية التي ستصحها اضطرابا الأحكام. على هذا النحو تتأني صور للذات فيما يلي (سارتر، الوجود والعدم، 1996، صفحة 503، 506):

1.الأشكال: وهي تركيبية التعريف للفرد الذي يمكن للنظرة أن تكشفه من خلال الصفات الخارجية، الالتزام الواقعي في العلاقات والتأدية السلوكيات، وصولا للصورة الذاتية وعمق انخراطها في الآخر (أداتها الإدراك).

2.العلامات: تتمثل في الهوية، التجليات الحكمية، المواقف الفعلية.

لعل الوقائع المتناقضة تضلّ صورا لعلاقات عامة منبثقة من الوقائع، تسمح للذات أن تكشف عما هو خفي ولو بالقليل؛ لذلك تبرز المعرفة على أنها ضلال للوجود في فترة معيّنة قابلة للنقد والتجاوز. لكن البحث في محو الذات يختلف تماما عن العالم، فالذات متصلة بعالم يعرف بالجسم. إن المقاربات بين الذوات هي إعدام للفردانية، أو بعبارة سارتر هي جعل "الجسم للغير"، لا يمكن فصل الذات عن الجسم ولا يمكن اختزال جسم في آخر، إن الذي يضع الدراسة هي المسافات التي تتقاطع فيها تجليات الكينونة متى ما توافقت.

سنتقل النظرة في فكر ايمانويل لوفيناس لتتحدد في الوجه الأخلاقي الذي يوجه معيار القيمة، وهذا ما يقود لتفجر البرسونا وسقوط القناع المزيف لإيغو المتحكم. هذا الادعاء خطير فالحديث عن القيمة الأخلاقية يقود لتفجيرها ضمن الإطار العام للحياة، إنه يخلق نظرة عميقة لمعالجة الشخص ضمن النظر ومسؤولية الدفاع عن حدوده دونما إدانته القيمة أو تنحيها، ويمكن تشبيه الوضع بسؤال متى نشيح وجهنا عن الآخر؟ وتحت ما هي مسوغات الفعل وإلى أين تنتهي؟

الاهتمام الأول لليفناس هو السعي لأن تكون علاقتنا بالآخر علاقة طيبة، إذ يجب أن تسود كل تصرفاتنا تجاه الآخر، من خلال سلوكنا وأخلاقنا، ومن ثمة نعطي الحرية له، وتكون الطيبة "عطاء" لأنها تسعى دوما لتقديم الأفضل ...، وبهذا المعنى ستخرج الأنا من أنانيتها وتكون مثالا للعطاء والخدمة. (عمر، 2015-2016، صفحة 97)

على هذا النحو تبدو النظرة إحالة للذات كما يراها سارتر ومن خلالها نحيا العالم على هذا النحو تتحقق الكينونة؛ فنحن حين نفهم الوجود والزمان في محور المكان فإننا ليسنا فقط نحده بفلسفات أنطولوجية تختزل ضمن مباحث وجودية في الكينونة، بل أيضا نشق طريقا في دروب عميقة داخل علم النفس الاجتماعي المعقد، نحن نكتشف حين ذلك علاقات مفتوحة وبنيات متعددة.

3- تحديد الكينونة عند سارتر :

على الرغم من أن النظرة السارتية تنحصر في تقييد أنطولوجي حسب توجهاته الفكرية إلا أنها تتمثل كالمعول الذي يكشف طبقات التجاوب بين الصورة السليمة والمرضية للشخص المضطرب في العلاج والتوجيه (وليست كل الحالات خاضعة لهذا المعيار) ولابد أنه قد أسقط خبرته المتركزة على الفنون الأدبية والمسرحية. لكن يبدو أن العلاج بالمقاربات الجسمية يكشف عن تعدي الأنا نحو الآخر في صور متعددة، وهذا ما يدفعنا إلى النظر في أدوات التجاوب:

1.3- الوعي بالتأمل والفنون:

تعد الفاعلية المركزية للتجاوب مع العلاج بالفن الذي يطله المجال البصري إحدى أقدم التوجهات التي تركزت على التجاوب مع الموضوع والتي تخضع الحالة للحصول على مساحة أوسع للتجاوب مع العلاج في شكل تقييد منحصر باهتمام الشخص.

إن إعادة بناء المشهد في العقل لا يكون دائما لذلك يجب الاتصال الدائم بالمعالج، فمراقبة التطور في العلاج يحتاج متابعة مستجدة. تعدّ العين بلورة كاشفة للأمراض العصبية نظرا لقرنها من المخ واتصالها المباشر بالشبكات العصبية. مما لا شك فيه أن حياة العصر كشفت عن طبقات عميقة للأمراض النفسية في البعد اللاشعوري للإنسان، وتظل التجاوبات الإدراكية معيار المعاينة للصحة النفسي؛ ومع تطور المجتمعات وتقيدها بحياة متصلة بمجالات تخضع للمجال الكهربائي وتخضع لمبدأ السرعة تتكشف أشكال للاضطرابات النفسية التي تظهر على الأغلب في شكل انفعالات مكبوتة تنفجر إثر حدث معين (TRAUMA).

تعدّ الفنون البصرية أداة فعالة لكشف الصوت الخافت للحوار الذي يجمع الذات بذاتها، وعادة ما يكون أسلوبا آمنا لتحويل الثقة النفسية نحو العالم، فالمونولوج طاقة كامنة تسمح بتحرير الإبداع الخلاق، مما يتبعه تجاوب ايجابي مع الحياة، وعلينا ألا نخلط بين الافتعال المرضي والاضطراب النفسي، ويمكن تمييز الحالة من خلال تشخيص المتخصص وقدرته على التجاوب مع الاختبارات.

يكشف التاريخ عن انعطافات في الخطاب الفني وربط الوعي والوجود بالكتابات تحديدا لكشف التوجهات النفسي، فنجد ديوان الشعر لشارل بودليير يكشف اتساع نظرتة الوجودية ومبدأ السوداوية الذي يشخص العالم ففي مقطوعاته الشعرية كثيرا ما قدّم الوصف المرئي للعالم. على هذا النحو تتخذ الكتابة منعطفا عميقا في معالجة المشاهد انطلاقا من شخصية الكاتب، وليس بعيدا تتقاطع هذه القراءة بمأساة وولف فرجينيا التي تقدم تجاوباتها العلاجية في الكتابة مع منحدرات حادة في التقمص لينتهي بها الحال للاستسلام للموت. فهي تمارس نوعا من الشطحات الغير مألوفة بطريقة عقلانية لتجاوز نوبات الاكتئاب والجنون عن طريق تشریح عميق للهندسة الجسمية للمجتمع وهي بذلك تقد تفاصيل المشهد الروائي من منظورها.

على أشكال عدّة سيتغير المشهد عن طريق المقاربات الفنية، وهذا ما ستلخصه الفنانة مارينا أبراموفيتش، إذ تعدت فيه تجاربها الفنية على أساليب قصدية هي الأخرى تتوجه لتفكيك الهندسة الجسدية والاجتماعية، والغرض منها هو تعزيز الثقة (الجديد، 2020)، على هذا النحو يبدو العالم بما يضمه مشهدا واحدا متكررا بشكل عميق في التجربة الإنسانية يجعله متصلا بالبعد الانفعالي للأحكام التي تتلخص في إقصاء الجسد عن طريق الوعي أو اللاوعي.

ستشكل تجربة النظرة عمق الرابطة البشرية التي تترجم في مشهد باطني خاضع لأساليب التدوق، وينتقل في صورة الفن التي تبعث بفاعلياتها التأثيرية في المتلقي حسب تحقق شروط الإحساس (تولستوي، 1991، صفحة 191):

-نتيجة المزايا الكبيرة أو الصغيرة للإحساس لذي ينقله.

-نتيجة الجلاء الكبير أو الصغير في نقل هذا الإحساس.

-نتيجة مصداقية الفنان، أقصد القوة أو الضعف في معاناة الفنان ذاته مع الإحساس الذي ينقله.

تعدّ تجربة دقيقة الصمت لمارينا ابراموفيتش، حالة من الغموض الفني التي تسحب الآخر من خلال النظرة والبعد الميتافيزيقي للعلاقة الفنان بما يحمله من خبرة وقابلية الانجذاب للمتلقّي واستسلامه، أي أنه خروج من الكاريزما والأحكام في ثلاثية فضاء والجسد والمجتمع. على هذا النحو، تتجلى في المساحة الفنية أشكال لقابلية العلاج المدفوعة بالحدة مما يجعل الدراسات مقيدة وغير واضحة، ذلك أن السيكلوجيا البشرية تخلق عوالم متعددة ومتعددة نحو العالم، أحيانا مندفعة وأحيانا تتعلق بدائرة الكبت، لهذا لا يمكن توجيه العلاج لكل الفئات عن طريق تفعيل الحواس الذوقية.

5- خاتمة:

هذه التجليات المتمثلة في الحاجة لتوجيه النظرات تتعدى مجرد الصورة النمطية لآليات التكيف مع العالم عند جان بول سارتر، إذ نجد الحرص اليوم على توجيه مسار النظرة في عمق السؤال القيمي الذي يتشظى في مسارات التقارب النفسي والاجتماعي.

على هذا النحو تتقدم شذرات التعليل عن قيمة التواصل من خلال الفلسفة الوجودية مع الكائن بين ما هو أصيل أي سويّ وما هو وجود مزيف أي مرضي، فلسفة الوجود تضع الفرد في رهان دائم لبناء وتعيين مشروع وجوده، ولابد للتناقض بين الأنا والآخر أن يفتح آفاق أوسع في مجال البحث عما هو إنساني.

إذ تتقدم هذه الدراسة بأشكال للتداخل مع التطبيقات التجاوبية للذات مما يسمح بتحديدتها في شكل نقاط كالآتي:

*تحدد النظرات مسار الوجود للشخص في العالم مما يسمح بتحديد فاعليات التواصل بينه وبين المحيط.

*تعيّن السلوك السوي وربط التوازن الداخلي بالقدرة على التجاوب بالنظرات.

*قوة التسامي من خلال فاعلية التواصل بالأعين والتجاوب.

*فاعلية التجارب الفنية وإلقاء الضوء على أصحاب الصوت الخافت.

بهذا الشكل يتم تفصيل الوجود الذاتي بشكل عام ضمن إطار النظرة، فالشخصية لا تنتج إلا في إطار اجتماعي ورغم التجليات التي تنتجها تحديات الدمج بين الفينومينولوجيا الهوسرلية والتجربة الذوقية لسارتر إلا أن البعد الثالث للفضاء الاجتماعي يفرض نفسه على الساحة الفردية من خلال أدوات التربية والتثقيف.

لا تتوقف فاعلية النظرات في حدود الممارسة بل تتعداها نحو بث تناغم عن طريق تحويلها لمشاهد مقتطعة من الساحة النفسية، يمكن معالجتها وتوسيع إطار تنسيقها. فالعالم اليوم يعاني ما

يكفيه من تضخم أيديولوجي، اقتصادي وسياسي، وكل هذه المسارات التي تقود البنيات التحتية والفوقية للأمم تنتهي بتراص عميق في المشاهد النفسية للفرد، بحيث أصبح يعاني من تشبع عميق في مجالات إدراكه الحسي والباطني.

ستؤدي ازدواجية الكبح والتثبيط دورها في فك شفرات الانفعال البشري لكنها لا تكفي بالرغم مما تقدمه من حلول ومقاربات من تحديد جوهر الشخص وأبعاده السلوكية، سيتكفل المجتمع من جهته الأخرى من تعديل الوجه المشوه للإنسان وفتح مجالات الاعتراف به في السياق العام، تحت ما يعرف بالمعطى الاستحقاق، ومهما تقابلت الأدوات والغايات تبقى هرمونطقا النظرات سؤالاً مؤجلاً نحو ما يحمله من ميتافيزيقيات الكون الباطني للإنسان، لهذا يجب الإقرار أن الحكمة اليوم تنافس القضايا التهكمية بين المجالات العلمية وتحاول دمج التصورات الاستعجالية مع ما يحمله العالم من تداعيات ومنافسات قومية حادة، يبدو أنه عصر الوعي الترجسي الذي يختار التحكم بكل الأبعاد المتصلة بالإنسان داخل أفق ضيق وسريع، والنظرات إحدى السياقات التي مازالت تحت سؤال التكوين والغاية.

قائمة الإحالات والمراجع

المصادر:

جان بول سارتر. (1966). *الوجود والعدم* (الإصدار الطبعة الأولى). (عبد الرحمان بدوي، المترجمون) بيروت- لبنان: منشورات دار الآداب.

جون بول سارتر. (1964). *الوجودية مذهب إنساني* (الإصدار الطبعة الأولى). (عبد المنعم الحنفي، المترجمون) مصر: مطبعة الدار المصرية.

جون بول سارتر. (2005). *تعالى الأنا موجود* (الإصدار الطبعة الأولى). (حسن حنفي، المترجمون) لبنان: دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع.

المراجع:

أ-كتب:

إريك فروم. (1998). *مفهوم الإنسان عند ماركس* (الإصدار الطبعة الأولى). (محمد سيد رصاص، المترجمون) دمشق: دار الحصاد للنشر والتوزيع.

أشواق عبد الحسن عبد. (2011). *العلاقات المجتمعية التفاعلية بين البيت والمدرسة. مجلة دراسات تربوية* (16)، 174.

جايمس غليك. (2008). *نظرية الفوضى*. بيروت- لبنان: دار الساقى.

رحيم عمر. (2015-2016). *فينومينولوجيا الوجه والإيروس عند إيمانويل ليفناس. تلمسان-الجزائر، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر.*

ليف تولستوي. (1991). *ما هو الفن؟* (الإصدار الطبعة الأولى). (محمد عبده النجاري، المترجمون) دمشق: دار الحصاد للنشر والتوزيع.

مجاهد عبد المنعم مجاهد. (دون سنة). *رحلة في أعماق العقل الجدلي* (الإصدار دار الثقافة للنشر والتوزيع). القاهرة.

ب-مجلة:

مجلة الجديد. (01 01، 2020). *مجلة الجديد*. تم الاسترداد من - <https://aljadedmagazine.com/>